الأهرام

المصدر: الشرق للاوسط

التاريخ : ١٤ مايو ٢٠٠٢

ملاحم كنيسة المهد بين الانتصار والانكسار

في اللامعقول العربي: عرفات من قمة الزعامة إلى درك الخيانة!

يبدو ان كثيرين من الذين يطلقون الشعارات الرنانة باصوات عالية يصمون آذانهم عن سماع اي شيء آخر، وهم بالتالي لا يراجعون المواقف فيتراجعون عما ينبغي التراجع عنه، ناهيك من الاحتكام لموازين الربح والخسارة او التفكير في البدائل الممكنة، ولذلك غالبا ما ينحنطون في ما بدا لهم من الوهلة الاولى، ومن ثم يجنحون الى سب كل من يخالفهم وينحدرون الى تخيل مؤامرات تنسج، وخيانات تطبخ، ولا يستثنى من كل تلك التخيلات حتى رجل مثل ابو عمار كانوا هم انفسهم بالامس يرددون انه الزعيم الرمز!

لنأخذ ازمة كنيسة المهد كانصع وآخر مثال على صحة ما نقول، فبعد الحصار الخانق والماساة التي عاشتها ما يقرب من اربعين يوما انفرجت الازمة نتيجة لتدخلات وضغوط عالمية، ولكن هذا الانفراج سرعان ما صنفه مطلقو الشعارات بانه «تفريط» من عرفات بمسلمات لا ينبغي التفريط فيها، وتعالت اصوات لتطلق على الاتفاق اوصافا من العيار الثقيل من عينة: الانكسار والمؤامرة والخيانة! لماذا؟ لان ابعاد 13 من رهائن الكنيسة يعتبر سابقة تعطي اسرائيل حق طرد الفلسطينيين، ولانه ما من احد تقبل بلاده ان يبعد عنها، وهذا فخ نصبته اسرائيل، وما الى ذلك من تخيلات عن مؤامرات وصلت في حدها الاقصى الى انتقال ابو عمار من الزعيم الفرد الى الخائن الاكبر.

دعونا نفكر بهدوء وعقلانية في اطار الربح والخسارة. في بداية الحصار كانت اسرائيل تهدد بالاقتحام وتطالب بالاستسلام ورفض الفلسطينيون المطلبين، وتدخل الوسطاء فتولدت فكرة الابعاد وقال الوفد الفلسطيني المفاوض انه يرفض الابعاد الى بلد آخر لان ذلك يعد سابقة مرفوضة ويقبل الترحيل الى غزة، كما يرفض محاكمة اسرائيل لاي من تزعم انهم مطلوبون لديها بحسبان ان جغرافية المنطقة تقع تحت مسؤولية السلطة الوطنية الفلسطينية. المهم انتهت الازمة على نحو ما اسلفنا وما هو معروف، والخلاصة ان اسرائيل لم تقتحم ولم تتسلم الفلسطينيين كما كانت تريد. والفلسطينيون كسبوا في الغالب الاعم المعركة وما تراجعوا الا قليلا بقبول نفي 13 مناضلا حطوا رحالهم في المبتدأ بقبرص في انتظار استقبالهم في عدد من بلدان العالم. بهذا القياس من المفترض ان يشد على يد القيادة الفلسطينية لانها هزمت الاسرائيليين، لا ان تتهم بالتفريط والخيانة بحسبانها قبلت ابعاد تلك الحفنة من الوطن ففرطت في حق المواطنة ومنحت اسرائيل سابقة ترقى الى حد الخيانة علما بان المفاوض الفلسطيني هو الذي كان يرفع شعار عدم الابعاد كسقف اعلى اثناء المفاوضات وتنازل عنه استجابة للوساطات قبولا بسياسة «فن الممكن».

واذا كان ما توصلت اليه القيادة الفلسطينية غير مقبول لدى البعض، فهل سالوا انفسهم عن البديل الافضل وكيف الوصول اليه؟.. هل فكروا في الجوانب الانسانية المتعلقة بوجود ما يقارب مائتي شخص محاصرين لما يقرب من اربعين يوما بلا طعام ولا ماء ولا دواء، وبينهم جرحى وقتلى ومرضى وانهم اكلوا حتى ورق شجر الليمون، وهم في صمودهم ذاك. ترى اي الخيارين كانوا يريدون؟ هل يريدونهم ان ينهاروا فيستسلموا كما كانت تتمنى اسرائيل! ام يريدونهم موتى فيخرجون جثثا من كنيسة المهد؟!.. وهل في هذا الخيار او ذاك اي مكسب يمكن البناء عليه؟ كلا بل اذا كان في خيار الاستسلام انكسار فان في خيار موتهم عارا انسانيا يضع القيادة الفلسطينية واسرائيل في درجة واحدة من السوء والقسوة والمسؤولية في نظر العالم وفي نظر المسيحيين الذين غالبيتهم الآن في العالم يحملون اسرائيل خطيئة ما حدث في كنيسة المهد والذي لم تشهد مثله منذ الفي عام.

ولعلنا لو تاملنا بشيء من الصراحة وبعد النظر جوهر ابعاد تلك المجموعة لما وجدنا فيه ما يستحق كل هذه الضجة والاتهامات التي وصلت الى حد التخوين. ونبدأ حيثيات هذه المرافعة اذا جاز التعبير متسائلين: هل قامت الدولة الفلسطينية حقا ولها كامل السيادة ومن ثم سمحت بابعاد هؤلاء؟ الكل يعلم ان الدولة لم تقم بعد وان اسرائيل قد اجتاحت جزءا كبيرا من المناطق المعروفة بـ(أ)، وهي المناطق التي تديرها السلطة!.. هذه الحقيقة وحدها تهزم كل هجمات المزايدين ولا نقول الجاهلين لانهم كانوا وما زالوا الاكثر رفضا ونقدا لاتفاق اوسلو الذي انجب هذا الوضع بحسبانه وضعا هشا ومهيمنا عليه من قبل اسرائيل، فلماذا هذا التناقض في القناعات والمواقف؟ ونتساءل ايضا الا يوجد في المنافي اربعة ملايين فلسطيني بانتظار العودة فهل اضافة هذه الحفنة البسيطة تستحق ان نقيم الدنيا ولا نقعدها علما بانهم لا يواجهون تهما او محاكمات. واذا كان شيمعون بيريس قد هرطق من باب الاستهلاك المحلي معلنا: «ان

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

محمد الحسن أحمد
mahmad @ aawsat.com

اسرائيل تحتفظ بحقها في المطالبة باعادة هؤلاء ومحاكمتهم»، فان في مقولته هذه خير رد لمن حسبوا ان ابعادهم كان كسبا لاسرائيل او فخا نصبته للسلطة للاستفادة منه كسابقة، الى غير ذلك من تخرصات وحديث عن صفقات وسيناريوهات لمؤامرات!

ولا شك ان اكثر ما يثير الحيرة والاشمئزاز ما سمعته من اكثر من واحد عبر احدى الفضائيات وخلاصته: ان حصار عرفات كان امرا مدبرا ومتفقا عليه لتمرير صفقة لبيع القضية على نحو ما يجري الآن من سلام واستسلام، وان «صفقة» كنسة المهد جزء من ذلك السيناريو المقيت!

ترى كيف يخطر على بال احد مثل هذا التصور الذي يتجاوز كل خيال. العالم من اقصاه الى ادناه ظل طوال شهر باكمله لا حديث له الا حصار عرفات ويتحرك بكل الطرق والوسائل لفك الحصار، وهو إما شريك في المؤامرة او مستغفل، وحدهم هؤلاء الاشاوس الذين ببصيرتهم النافذة اكتشفوا المؤامرة والسيناريوهات وسنوا رماحهم لتجريح البطل الرمز ابو عمار. لكن يتوجب على المرء ان يتساءل: هل هؤلاء المتهجمون يعبرون عن آراء فردية أم انهم يمثلون تنظيمات وتيارات فلسطينية؟ على الارجح انهم يعبرون بصورة اكثر تطرفا عن تيارات داخل منظمات فلسطينية مما يستوجب التعامل مع هذه التخيلات بجدية واهتمام حتى لا تنفلت الامور، خاصة ان كل المنظمات اصدرت بيانات وتصريحات تنقل الى السطح خلافات وارهاصات ببوادر تصدع في الصف الفلسطيني يخشى ان يتحول اذا لم يتدارك الى حرب اهلية ظل يتمناها ويسعى لها الكيان الاسرائيلي منذ فترة بعيدة، وحتى على مستوى السلطة للاسف اخذت تتسع دائرة التراشقات بين محمد دحلان وجبريل الرجوب، وهما اكبر مسؤولين عن الامن الوقائي في السلطة، مما ينذر بشر مستطير. واذا كان لنا ان نطلب من ابو عمار ان يلملم وبسرعة التصدعات داخل سلطته قبل اعادة النظر في هيكليتها وشخصياتها وبرامجها واولوياتها، فاننا نطلب وبالحاح من الدول العربية الا تقف متفرجة ازاء هذا التراشق بين الشرائح الفلسطينية المختلفة والذي اذا اتسع سينسف القضية كلها، وان تجعل في اولويات اولوياتها السعي بينها للوصول الى اتفاق الحد الادنى، وما لم تفعل فان كل ما تقوم به من ادوار مجتمعة وفرادى سيكون بلا معنى.

نعلم ان الفلسطينيين على درجة عالية من الحساسية في كل ما يتعلق بالتدخل في شؤونهم الداخلية وقد التزمت الدول العربية في مجملها منذ الثمانينات بالابتعاد عن الوصاية عليهم، لكن ما يتهددهم الآن في هذا المنعطف الخطير يستوجب تدخلا عربيا لاصلاح ذات البين ولتفادي حروب اهلية والالتزام بحد ادنى من التوافق يتماشى مع الرؤية العربية التي تمخضت عنها المبادرة السعودية التي اصبحت عربية في مؤتمر بيروت. وهذه المبادرة لكي تبلغ مقاصدها تفرض على الصعيد العربي التزامات مثلما تكسب الفلسطينيين من حقوق، وهذه الالتزامات هي التي توجب التوافق الفلسطيني العربي، بل هي المدخل لهذه الوساطة التي نرومها مع الأخذ في الاعتبار كل المتغيرات الدولية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية